

أضواء البيان

. @ 66 @ .

أي طالبه . قوله تعالى : { إِنَّ زَنْدًا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهْ خَيْرٌ وَأَبْقَى } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن فرعون لعنة الله لما قال للسحرة ما قال لما آمنوا ، قالوا له : { إِنَّ زَنْدًا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا } يعنون ذنوبهم السالفة كالكفر وغيره من المعاصي { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } أي ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر . وهذا الذي ذكره عنهم هنا أشار له في غير هذا الموضع . كقوله تعالى في (الشعراء) عنهم : { إِنَّ زَنْدًا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّ زَنْدًا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَتَوَّلَ الْهُمُومِينَ } ، وقوله عنهم في (الأعراف) : { رَبُّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ } . وفي آية (طه) هذه سؤال معروف ، وهو أن يقال : قولهم { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } يدل على أنهم أكرههم عليه ، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين ، كقوله في (طه) : { فَتَنَّا زَعْوًا أَمْ لَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لِسِحْرِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُرِيدَ أَنْ يُخْرِجَكَ كُفُّوا أَرْصَادَكُمْ بِسِحْرِهِمْ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَذَلِّلِينَ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَفُوا صَفًّا وَقَدَّ أَفْوَاحَ الْيَوْمِ مَنْ اسْتَعْلَى } . فقولهم : { فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَفُوا صَفًّا } صريح في أنهم غير مكرهين . وكذلك قوله عنهم في (الشعراء) : { قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } ، وقوله في (الأعراف) : { قَالُوا إِنْ كُنَّا لَأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } فتلك الآيات تدل على أنهم غير مكرهين . .

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة : .

(منها) أنهم أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم ، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين ، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر ، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر ، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض ، ويدل لهذا قوله : { وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } ، وقوله : { وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } . .

(ومنها) أنه كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم ، وأن ذلك هو مرادهم بإكراههم على السحر . ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين .